

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو . وقال النقاش : إنما سأل لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون { ءَامَنَ يَاقَوْمَ إِنِّ زَيْ أَخَافُ عَلَائِكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ }
الْأَوْزَابِ { الآية فرد علم ذلك إلى الله لأنه لم يكن نزلت عليه التوراة . وقيل لما قال {
إِنِّ زَيْ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنَّا الْعَزَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } قال
فرعون { فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } فإنها كذبت ثم إنهم ما عذبوا . وقيل : لما
قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على إثبات الصانع قال فرعون : إن كان ما ذكرت في غاية
الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه ، فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون
الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها . فعارض الحجة النقلية ، ويجوز أن يكون فرعون قد
نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال : ما تقول في سؤالي القرون
وتماذي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم ، فأجاب بأن كل
كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده { فِي كِتَابِ } ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما
يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي { لَا يَضِلُّ } كما تضل أنت { وَلَا
يَنْسَى } كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري . .
والظاهر عود الضمير في { عَلِمُهَا } إلى { الْقُرُونِ الْأُولَى } أي مكتوب عند ربي في
اللوح المحفوظ لا يجوز عليه أن يخطئه شيئاً أو ينساه ، يقال : ضللت الشيء إذا أخطجته ف
مكانه ، وضللته لغتان فلم يهتد إليه كقولك : ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضلته إلا
إذا ضاع منك كالدابة إذا انفلتت وشبهها قاله الفراء . وقال الزجاج : ضلته أضله إذا
جعلته في مكان ولم تدر أين هو ، وأضلته والكتاب هنا اللوح المحفوظ . وقيل { فِي
كِتَابِ } فيما كتبه الملائكة من أحوال البشر . وقيل : الضمير في { عَلِمُهَا } عائد
على القيامة لأنه سأله عن بعث الأمم . وقال السدسي { لَا يَضِلُّ } لا يغفل . وقال ابن
عيسى { لَا يَضِلُّ } لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف . وفي الحيوان أضل
بعيره بالألف . وقيل : التقدير { لَا يَضِلُّ رَبِّي } الكتاب { وَلَا يَنْسَى } ما فيه
قاله مقاتل . وقال القفال { لَا يَضِلُّ } عن معرفة الأشياء فيحيط بكل المعلومات { وَلَا
يَنْسَى } إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لا يتغير . وقال الحسن : لا يخطئه
وقت البعث ولا ينساه . .

وقال مجاهد : معنى الجملتين واحد وهو إشارة إلى أنه لا يعرض في علمه ما يغيره . وقال
ابن جرير : لا يخطئه في التدبير فيعتقد في غير الصواب صواباً وإذا عرفه لا ينساه ، وقال

أبو عبد الله الرازي : علم الله صفة قائمة به ولا تكون حاصلة في الكتاب لأن ذلك لا يعقل ،
فالمعنى أن بقاء تلك المعلومات في علمه كبقاء المكتوبات في الكتاب ، فالغرض التوكيد
بأن أسرارها معلومة له لا يزول شيء منها ، ويتأكد هذا بقوله { لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
يَنْسَى } أو المعنى أنه أثبت تلك الأحكام في كتاب عنده يظهر للملائكة زيادة لهم في
الاستدلال على أنه عالم بكل المعلومات منزّه عن السهو والغفلة انتهى . وفيه بعض تلخيص . .
وقرأ الحسن وقتادة والجدي وحامد بن سلمة وابن محيصن وعيسى الثقفي لا يضلُّ ربِّي بضم
الياء أي { لَا يَضِلُّ رَبِّي } ذلك الكتاب فيضيع { وَلَا يَنْسَى } ما أثبتته فيه . وقرأ
السلمي لا يضلُّ ربِّي ولا يذسسى مبنيتين للمفعول ، والظاهر أن الجملتين استئناف
وإخبار عنه تعالى بانتفاء هاتين الصفتين عنه . وقيل : هما في موضع وصف لقوله { فِي
كِتَابٍ } والضمير العائد على الموصوف محذوف أي لا يضلّه ربّي ولا ينساه . والظاهر أن
الضمير في { وَلَا يَنْسَى } عائد على الله . وقيل : يحتمل أن يعود على { كِتَابٌ } أي لا
يدع شيئاً فالنسيان استعارة كما قال { إِلَّا أَحْصَاهَا } فأسند الإحصاء إليه من حيث
الحصر فيه ، وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه
. . .

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ * مِهَادًا * وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا *
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى *
كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ *
مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى *
وَلَقَدْ أَزْوَاجًا بَعِيدًا * كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا كُذَّبُواْ فَكَذَّبْ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا
لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنُتَأَذِّنَ لَكَ بِرِسْحٍ
مَّثْلِهِ فَاذْجَعِلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا * لَا تَخْلِفْهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سُوَّى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُرْحَى *
فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُّوسَى
وَيْلَكُمْ لَا تَفْخَرُواْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ
خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَّا زَعْوَاهُ أَمْرَهُمْ بِئِنَّهُمْ * وَأَسْرَسُواْ النَّجْوَى
* قَالُواْ إِنَّ هَٰذَا نَارُ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم